Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واقبل عليك أيها الراوي المتعتب فأقول لك : خبِّرني عمن تعظمه من أوائل الشعراء ومن تفتح به طبقات المحدثين هل خلص لك شعر أحدهم من شائبة وصفا من كدر ومعابة ؟ فان ادعيت دلك وجدت العيان حجيجك والمشاهدة خصمك وعدنا بك إلى أضعاف ما صدرنا به مخاطبتك واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دعواك ويحجزك ان كان بك أدنى مسكة عن قولك . فان قلت : قد أعثر بالبيت بعد البيت أنكره وأجد اللفظ بعد اللفظ لا استحسنه وليس كل معانيهم عندي مرضية ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة . قلنا لك : فأبو الطيب واحد من الجملة فكيف خص بالظلم من بينها ؟ ورجل من الجماعة فلم أفرد بالحيف دونها ؟ فان قلت كثر زلله وقل إحسانه واتسعت معايبه وضاقت محاسنه قلنا : هذا ديوانه حاضراً وشعره موجوداً ممكناً هلم نستقرئه ونتصفحه ونقلبه ونمتحنه ثم لك بكل سيئة عشر حسنات وبكل نقيصة عشر فضائل ، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته وقادك الاضطرار إلى القبول أو البهت ووقفت بعد التسليم والعناد عدنا بك إلى بقية شعره فحاججناك به وإلى ما فضل بعد المقاصة فحاكمناك اليه » . (١)

وفي هذه الكلمات كثير من الحقائق النقدية التي ينبغي أن يضعها الناقد أمامه قبل أن يندفع في نقده ويتحامل على الشعراء والكتاب، لأن النقد ليس تعبيراً عن هوى أو رغبة وإنما هو اظهار للحق وكشف عن القيم الفنية والأدبية من غير تعصب واندفاع . وقد كان القاضي منصفاً كل الانصاف حينما قرر هذه الأسس قبل أن يخوض في شعر المتنبي وموازنته بشعر الآخرين ، والرد على خصومه المتألبين ، وقد كانت هذه الأسس نبراساً استضاء به وهو يطوف في شعر أبي الطيب ويعرض الآراء ويوضح الاهداف . وما أقبح الهوى حينما يعرض ويملك النفوس ، وما أحسن الانصاف حينما يجلو الحقيقة ويكشف الأمور ، وليس كالعصبية ما يعمي البصائر والأبصار وليس كالحيدة ما يظهر الحق ناصعاً جلياً . قال مصوراً أثر العصبية : « غير ان العصبية ربما كدرت صفو الطبع وفلت حد الذهن ولبست العلم بالشك

(١) الوساطة ص ٥٢ .